السيرة النبويّة

النبى الأمين

(صلّى الله عليه وسلّم)

إعداد ورسوم:

ماهر عبد القادر

عَاشَ مُحَمَّدٌ ﷺ مَعَ أَبْنَاءِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ كَأَخٍ لَهُمْ .. وَعَمِلَ فِي صِبَاهُ يَرْعَى الْغَنَمَ .. فَتَعَلَّمَ الصَّبْرَ وَالْأَمَانَةَ وَالْحِرْصَ وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْغَنَمَ».

3

حِينَ بَلَغَ مُحَمَّدٌ ﷺ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ أَخَذَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ وَفِي الطَّرِيقِ اسْتَوْقَفَ الْقَافِلَةَ رَاهِبٌ يُدْعَى بُحَيْرَا وَدَعَا مَنْ فِيهَا لِلطَّعَامِ .. وَلَمَّا نَظَرَ إِلَى النَّبِيِّ وَسَأَلَ عَنْهُ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ تَطَلَّعَ إِلَى بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ ..

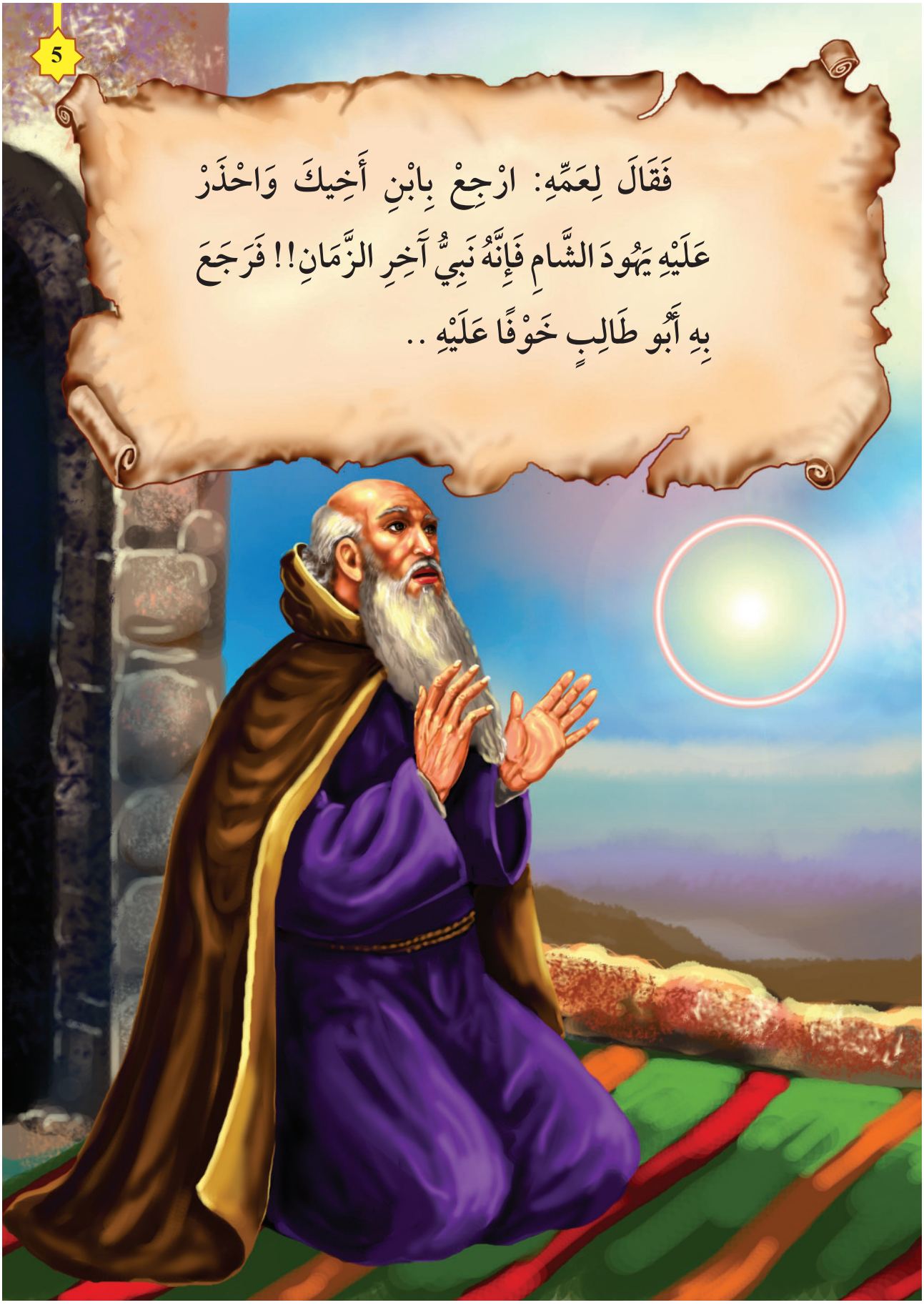
فَقَالَ لِعَمِّهِ: ارْجِعْ بِابْنِ أَخِيكَ وَاحْذَرْ
عَلَيْهِ يَهُودَ الشَّامِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ آخِرِ الزَّمَانِ!! فَرَجَعَ
بِهِ أَبُو طَالِبٍ خَوْفًا عَلَيْهِ ..

عَمِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالتِّجَارَةِ فِي شَبَابِهِ .. وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ خَرَجَ بِتِجَارَةِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ وَهِيَ أَرْمَلَةٌ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ .. وَصَحِبَهُ خَادِمُهَا مَيْسَرَةُ.. فَشَاهَدَ مِنْ أَمَانَتِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ وَصِدْقِهِ الْكَثِيرَ ..

وَلَاحَظَ سَحَابَةً تُظَلِّلُهُ أَيْنَمَا سَارَ .. وَفِي الطَّرِيقِ جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَرِيحَ تَحْتَ شَجَرَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ .. فَخَرَجَ الرَّاهِبُ يَسْأَلُ عَنْهُ مَيْسَرَةَ وَيَقُولُ: «مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا نَبِيٌّ» .

عَادَ مَيْسَرَةُ مُسْرِعًا يُبَشِّرُ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ بِمَا رَآهُ وَعَلِمَهُ وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ فِي مَنَامِهَا أَنَّ الْقَمَرَ يَسْقُطُ مِنْ السَّمَاءِ فِي حِجْرِهَا فَاسْتَبْشَرَتْ خَيْرًا .. وَأَرْسَلَتْ مَنْ يُلَمِّحُ لِلنَّبِيِّ بِرَغْبَتِهَا فِي الزَّوَاجِ مِنْهُ .. فَوَافَقَ وَأَرْسَلَ عَمَّهُ لِخِطْبَتِهَا ..

تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ وَكَانَ فِي الخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ بَيْنَمَا هِيَ فِي الْأَرْبَعِينَ .. وَأَنْجَبَتْ لَهُ: الْقَاسِمَ ثُمَّ زَيْنَبَ وَرُقَيَّةَ وَفَاطِمَةَ وعَبْدَ اللهِ .. وَقَدْ تُوُفِّيَ وَلَدَاهُ قَبْلَ الْإِسْلَام ..

قَبْلَ الْبَعْثَةِ بِخَمْسَةِ أَعْوَامٍ .. هَطَلَتْ السُّيُولُ عَلَى الْكَعْبَةِ فَتَهَدَّمَ جِدَارُهَا فَاجْتَمَعَ سَادَةُ الْقَبَائِلِ لِبِنَائِهَا.. وَلَمَّا وَصَلَ الْبِنَاءُ إِلَى مَوْضِعِ الحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَتَنَازَعُوا لِيَنَالَ كُلٌّ مِنْهُمْ شَرَفَ وَضْعِهِ مَكَانَهُ .. وَكَادَتْ الحَرْبُ تَشْتَعِلُ بَيْنَهُمْ فَتَحَاكَمُوا لِأَوَّلِ رَجُلٍ يَمُرُّ بِهِمْ ..

فَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللهِ ﷺ فَوَافَقُوا عَلَيْهِ جَمِيعًا فَهُوَ الصَّادِقُ الْأَمِينُ بَيْنَهُمْ .. فَفَرَشَ رِدَاءَهُ وَوَضَعَ عَلَيْهِ الحَجَرَ الْأَسْوَدَ .. ثُمَّ طَلَبَ مِنْ كُلِّ زَعِيمٍ أَنْ يُمْسِكَ بِطَرَفِ الرِّدَاءِ حَتَّى بَلَغُوا مَوْضِعَ الحَجَرِ الْأَسْوَدِ فَحَمَلَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ وَوَضَعَهُ مَكَانَهُ .. فَرَضُوا بِحُكْمِهِ ..

عُرِفَ عَنْ الْعَرَبِ فِي الجَاهِلِيَّةِ – أَيْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ – الْكَثِيْرُ مِنْ الْفَضَائِلِ مِثْلُ الْكَرَمِ .. وَالشَّجَاعَةِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ .. كَمَا كَانُوا بُلَغَاءَ فِي الشِّعْرِ وَالخَطَابَةِ .. وَعِلْمِ الْأَنْسَابِ .. وَقَدْ أَنْشَأَ بَعْضُ زُعَمَائِهِمْ حِلْفَ الْفُضُولِ الَّذِي يُنْصِفُ المَظْلُومَ وَيَأْخُذُ الحَقَّ لِأَصْحَابِهِ .. وَقَدْ شَارَكَ فِيهِ مُحَمَّدٌ ﷺ .

13

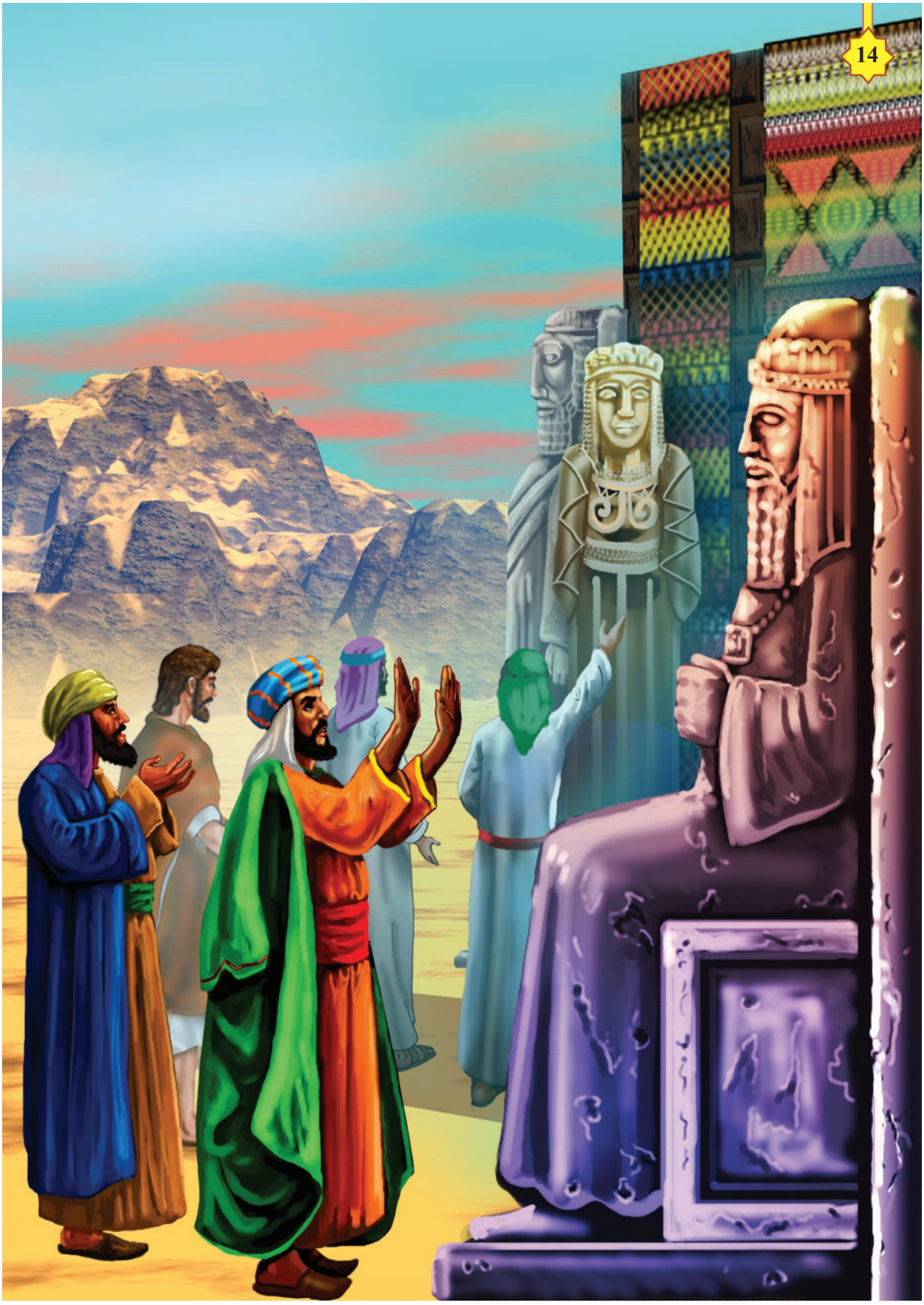
14

كَانَ الْعَرَبُ قَدِيمًا يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى عَلَى مِلَّةِ (طَرِيقَةِ) إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ .. لَكِنْ مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ تَبَدَّلَ الدِّينُ وَتَغَيَّرَ وَانْحَرَفُوا إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فِي عُهُودِ الجَاهِلِيَّةِ ..

وَانْتَشَرَتْ الْعَادَاتُ الْفَاسِدَةُ الَّتِي مِنْ أَسْوَأِهَا وَأْدُ الْبَنَاتِ – أَيْ دَفْنُهُنَّ أَحْيَاءً – كَمَا سَادَتْ الْأَخْلَاقُ السَّيِّئَةُ كَشُرْبِ الخَمْرِ وَلَعِبِ المَيْسَرِ (الْقِمَارِ) وَانْتَشَرَتْ المَعَازِفُ وَالمَرَاقِصُ..

كَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ يَنْفِرُ مِنْ هَذِهِ الْعَادَاتِ وَيَذْهَبُ لِيَخْتَلِيَ بِنَفْسِهِ فِي غَارِ حِرَاءٍ فِي جَبَلِ النُّورِ الَّذِي يَبْعُدُ عَنْ مَكَّةَ .. وَيَتَأَمَّلُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ وَالْجِبَالَ .. وَيَبْحَثُ عَنْ خَالِقِ هَذَا الْكَوْنِ .. وَرَبِّ هَذَا الْعَالَمِ ..